الباب السادس

الرزّاق

الفصل الأول: آداب طلب الرزق

الفصل الثاني: أسباب سعة الرزق

الرزَّاق

الرزَّاق: اسم من أسماء الله تعالى، وهو صيغة مبالغة من (الرازق) الذي يسوق نحوك الرزق، والرزاق: صفة لله تعالى لأنه يرزق الخلق أجمعين، وهو الذي خلق الأرزاق وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم، وقد ورد اسم (الرزَّاق) في القرآن الكريم في هذه الصيغة مرة واحدة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥١/٥٨].

وورد بصيغة (رازق) ست مرات كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٤/٣٩].

وورد جذر كلمة (الرزق) مع ما يتصل بها من أحرف في القرآن الكريم في (اثنين وعشرين ومئة) موضع، كقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ٦٠].

والرزق في اللغة: هو ما يُنتَفع به[1]، فالمال الذي لا تنتفع به في حياتك لا يسمى رزقًا، وإنما هو مال يعود للورثة لانتفاعهم به، والرزق له أنواع عديدة: فالمال رزق، والصحة رزق، والعلم رزق، وطاعة الله رزق، والحكمة رزق، وحسن التصرف رزق، والزوجة الصالحة رزق، والأولاد النُّجَباء رزق، والعمل الصالح رزق...

رجل في مدينة دمشق رزقه الله تعالى ستة عشر ابنًا، هم ما بين

---

(١) انظر: القاموس المحيط، مادة رزق.

طبيب وطبيب أسنان وصيدلاني ومهندس وخريج كلية الاقتصاد وخريجات أوائل في كليات الشريعة، والأبناء الستة عشر حفاظ للقرآن الكريم. أليس هذا رزقًا؟ إنه رزق يفوق المال بكثير.

جاء في (تهذيب الكمال) للمزي: «أن فروخاً - أبا عبد الرحمن - أبا ربيعة الرأي خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً وربيعة حَملٌ في بطن أمه، وخلف عند زوجته - أم ربيعة - ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة، وهو راكب فرسه وفي يده رمح، فنزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه، فخرج ربيعة، فقال: يا عدو الله، أتهجم على منزلي، فقال: لا، وقال فروخ: يا عدو الله، أنت رجل دخلتَ على حرمتي، فتواثبا، وتلبَّب كل واحد منهما بصاحبه، حتى اجتمع الجيران، فبلغ مالك بن أنس والمشيخة، فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان، وجعل فروخ يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان، وأنت مع امرأتي، وكثر الضجيج، فلما بصروا بمالك سكَتَ الناس كلّهم، فقال مالك: أيها الشيخ، لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هي داري، وأنا فروخ مولى بني فلان، فمسعت امرأته كلامه، فخرجت، فقالت: هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلَّفته وأنا حامل به، فاعتنقا جميعاً وبكيا، فدخل فروخ المنزل، وقال: هذا ابني؟ قالت: نعم، قال: فأخرجي المال الذي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار. قالت: المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام، فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته، وأتاه مالك بن أنس، والحسن بن زيد، وابن أبي علي اللهبي،

والمساحقي، وأشراف أهل المدينة، وأحدَقَ الناس به، فقالت امرأته: اخرج صلِّ في مسجد الرسول ﷺ، فخرج فصلى، فنظر إلى حلقة وافرة، فأتاه فوقف عليه، ففرجوا له قليلاً ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، فشك فيه أبو عبد الرحمن، فقال: مَنْ هذا الرجل؟ فقالوا له: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فقال أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابني، فرجع إلى منزله فقال لوالدته: لقد رأيتُ ولدك في حالة ما رأيتُ أحداً من أهل العلم والفقه عليه، فقالت أمه: فأيما أحب إليك: ثلاثون ألف دينار، أو هذا الذي هو فيه من الجاه؟ قال: لا والله، إلا هذا، قالت: فإني أنفقتُ المال كلَّه عليه، قال: فوالله ما ضيَّعِته»[1].

قال الإمام الغزالي: «الرزق رزقان؛ ظاهر للأبدان: وهو الأطعمة والأقوات، وباطن للقلوب والأسرار: وهو المعارف والمكاشفات، وهذا أشرف القُوْتين؛ لأن ثمرته حياة الأبد، بينما ثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد إلى مدة محدودة الأمد، والله عز وجل هو المتولي لخَلْقِ الرزقين، وهو المتفضل بالإيصال إلى الفريقين، ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر».

ومادام أحدنا ينزل السوق التجاري يبحث فيه عن رزقه، فالمأمول منه أن يتأدب بآداب الصالحين في طلب الرزق الحسن والحلال، وهذه أربعة آداب لطلب الرزق.

---

(١) تهذيب الكمال للمزي، ٩/ ١٢٦، تاريخ بغداد، ٨/ ٤٢٢، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٩٤.

الفصل الأول

من آداب طلب الرزق

١- تيقن بأن الرزاق هو الله وحده

لن يستطيع مخلوقٌ في الأرض أن يسوق نحوك شيئاً لم يكتبه الله لك، فلا تطلب رزقك إلا منه سبحانه، قال النبي ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّت الصُّحُفُ**»[(١)].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥١/٥٨].

كان من الممكن أن يكون سياق الجملة (إن الله الرزاقُ) لكنه - جلّ جلاله- قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ هذه الجملة ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٤/ ٤٨٧/ ٢٧٦٣).

مبتدأ وخبر، ويقول أهل اللغة: هذه جملةٌ معرَّفة الطرفين، أي المبتدأ فيها معرفة ﴿هُوَ﴾، والخبر فيها معرفة ﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾، والجملة المعرَّفة الطرفين تفيد الحصر، أي: حصراً الله وحده هو الرزاق، لذلك قال -تعالى اسمه-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾، ولم يقل: (إن الله الرزَّاقُ).

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦/١١] أداة الاستثناء ﴿إِلَّا﴾ إذا سُبِقَت بنفي تُفيد الحصر، والآية تقول: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، أي: حصراً الذي يرزق كلَّ مَن دَبَّ على هذه الأرض من كل المخلوقات إنما هو الله عز وجل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ٦٠].

قالوا: «**الرازق أو الرزاق: هو من خص أقواماً بوجود الأرزاق، وخص أقواماً بشهود الرزاق، وأحظى العبادِ مَن جُمِعَ له الوجود والشهود**».

وقالوا: «**من عرف الله ثم رجع عند حوائجه إلى سواه ابتلاه الله سبحانه بالحاجة إلى الخلق، ثم نزع الرحمة من قلوبهم نحوه**».

وقالوا: «**مِن أَدَبِ العبودية أن يرجع العبد إلى ربه في كل ما يريده، ألا ترى إلى موسى عليه السلام طلب الرؤية من ربه وهي أعظم المقامات**: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٤٣]، **ولما جاع طلب منه الرغيف**: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٨/ ٢٤]، **فطلب النفيس والخسيس من الله تعالى**».

دعا الشيخ أبو العباس - المرسي وهو شيخ ابن عطاء الله السكندري - فقال: **(اللهم إني أسألك الرزق الهني، الذي لا حجاب به عنك بالدنيا، ولا حساب عليه في الآخرة)**.

إذن: فأول آداب طلب الرزق: أن تتيقن بأن الرزاق هو الله وحده، فلا تطلب رزقك من سواه.

٢- اطلب رزقك بعزّ النفس لا بِذُلّها، وبراحة القلب لا باضطرابه

لأن مَا قُدِّرَ لِمَاضِغَيْكَ أَنْ يَمْضَغَاهُ فَسَوفَ يَمْضَغَانِهِ، واعلم أن ما كان لغيرك لن يَصِلَ إليك، وما كان لك فلن يَصِلَ إلى غيرك.

سُئِل حاتم الأصم: على ما بَنَيْتَ أمرك في التوكل؟ قال: «على خصال أربعة: عَلِمتُ أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنَّت به نفسي، وعَلِمتُ أنّ عَمَلي لا يعمَلُه غيري فأنا مشغول به، وعَلِمتُ أن الموت يأتي بغتة فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله فأنا أستحي منه»[(١)].

وقد ذُكِرَ عن الشيخ إبراهيم الهلالي الحلبي أنه قصد الجامع الأزهر يطلب العلم في شبابه، وفي أثناء طلبه للعلم أملق وافتقر إلى النفقة، ومضى عليه أكثر من يوم وهو لا يجد ما يأكل، وجاع جوعاً شديدًا، فخرج من غرفته في الأزهر ليسأل اللقمة والطعام، فشاهد باباً مفتوحاً وشم رائحة الطعام الزكية، فدخل البيت فلم

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ٩٧، والذهبي في سير أعلام النبلاء، ١١/ ٤٨٥، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ٨/ ٢٤٣.

يجد أحداً ووجد الطعام، فأخذ الملعقة وغمسها فيه، ولما رفعها إلى فمه انقبضت نفسه عن تناولها إذ لم يُؤذَن له، فتركها وخرج بجوعه إلى غرفته في رواق الأزهر، ولم يمضِ عليه نحو ساعةٍ إلا وأحد شيوخه يقرع بابه ومعه رجلٌ، فيقول له الشيخ: «**هذا الرجل الفاضل جاءني يريد طالب علمٍ صالحاً أختارُه لابنته زوجًا، وقد اخترتُك له، فقم بنا إلى بيته لنتمّم العقد بينكم إن وافقتَ ووافقَتِ الفتاة**»، فتحامل الشيخ إبراهيم على نفسه ممتثلاً أمر شيخه، وقام معهما، وإذا بهما يذهبان إلى البيت الذي دخله واشتهى طعامه، ولما جلس وعقد له الشيخ العقد بادروا بالطعام، فكان الطعام الذي غمس الملعقة فيه ثم تركها، فأكل منه قائلاً في نفسه: «**امتنعت عنه لله، فأطعمنيه الله مكرَّماً معزَّزاً زوجًا**»، ثم قدِمَتْ معه تلك المرأة الصالحة إلى حلب بعد انتهائه من التحصيل وكانت أمّاً لأبنائه الصالحين.

مَا قُدِّرَ لِمَاضِغَيْكَ أَنْ يَمْضَغَاهُ فَسَوفَ يَمْضَغَانِهِ فكُلْه بعز ولا تأكله بذل، وسبحان من أغنى بالحلال عن الحرام، وصدق رسول الله ﷺ القائل: «**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً اتِّقَاءَ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَعْطَاكَ الله خَيْراً مِنْهُ**»[(١)].

٣- لا تطلب ما عند الله بمعصية الله

إذا كان الله تعالى هو الرزاق لا غيره، وإذا كنت تطلب الرزق

(١) أخرجه أحمد (٣٤/ ٣٤٢/ ٢٠٧٣٩).

منه لا من غيره، فلا تطلب منه ما عنده بمعصيته وبمخالفة أوامره، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٦٥/ ٢-٣].

ومفهوم المخالفة لهذه الآية الكريمة هو: أن الذي يعصي الله، ولا يتقي الله يمنعُ الله عنه الخير والبركات، قال النبي ﷺ: «**إنَّ العبدَ لَيُحرَمُ الرِّزقَ بالذَّنْبِ يُصيبُه**»(١).

فالرشوة معصية، والتلاعب بالميزان معصية، وتزوير منشأ البضاعة معصية، وإخفاء العيوب عن المشترين معصية، واستغلال جهل المشتري بالأسعار وبالأنواع والأصناف معصية، والاحتكار معصية، والكذب في مواعيد التسليم معصية، والحلف الكاذب معصية، واستخدام الإعلان عن البضاعة الذي فيه كشف للعورات معصية، وتبديل سنة الإنتاج أو سنة انتهاء الصلاحية على السلعة معصية، كل هذه معاصٍ، فلا تطلب ما عند الله بمعصية الله، بل اطلبه بطاعة الله.

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ رُوْحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوْعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوْتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِي رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا. فَاتَّقُوا الله وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ الله، فَإِنَّ الله لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٢)، وأحمد (٣٧/ ٦٨/ ٢٢٣٨٦)، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ١٦٦/ ٧٦٩٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٧)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

٤- اقنع بما قسم الله لك

إذا صحَّ اجتهادُك وصبرُك ودأبُك وعملُك، وقلَّ مالك أو كثر فكن قانعاً راضياً بما أعطاك الله؛ لأن الخير فيما يختاره الله لك، فمن العباد عبادٌ لا يصلحهم إلا الفقرُ وإذا أغناهم الله فسدوا، ومن العباد عبادٌ لا يُصلِحهم إلا الغنى، وإذا أفقرهم الله فَسَدوا.

ففي الحديث: «**أتاني جبريل، فقال: يا محمد، إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إنّ من عبادي من لا يصلح إيمانُه إلا بالغنى، ولو أفْقَرْتُه لكفر، وإنّ من عبادي من لا يصلح إيمانُه إلا بالفقر، ولو أَغْنَيْتُهُ لكفر، وإنّ من عبادي من لا يصلح إيمانُه إلا بالسَّقَم، ولو أصْححته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالصحة، ولو أسْقَمْتُه لكفر**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وقَنَّعَهُ الله بِمَا آتَاهُ**»(٢).

وفي حديث آخر قال النبي ﷺ: «**ليسَ الغِنَى عن كَثرَة العَرَض، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْس**»(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأولياء، ص٩، والحكيم، ٢/ ٢٣٢، وأبو نعيم في الحلية، ٨/ ٣١٨، وابن عساكر، ٧/ ٩٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة (١٢٥)، والترمذي (٢٣٤٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم في كتاب الزكاة (١٢٠).

قال الإمام الشافعي:

وَرِزقُكَ لَيسَ يُنقِصُهُ التَأَنّي وَلَيسَ يَزيدُ في الرِزقِ العَناءُ
وَلا حُزنٌ يَدومُ وَلا سُرورٌ وَلا بُؤسٌ عَلَيكَ وَلا رَخاءُ
إِذا ما كُنتَ ذا قَلبٍ قَنوعٍ فَأَنتَ وَمالِكُ الدُنيا سَواءُ

هذه أربعة آداب من آداب طلب الرزق:

أولًا: تيقَّن أن الرزاق هو الله وحده، فلا تطلب رزقك من غيره.

ثانيًا: اطلب رزقك بعز نفسٍ لا بِذُلِّها، وبراحة قلبٍ لا باضطرابه.

ثالثًا: لا تطلب ما عند الله بمعصية الله.

رابعًا: اقنع بما قَسَم الله تعالى لك.

الفصل الثاني

أسباب سعة الرزق

لا شك أننا جميعاً نتمنى أن يوسع الله أرزاقنا، ولا شك بأن سعة الرزق مع الصلاح عنوان السعادة في الدنيا والآخرة، ولا شك بأن التضييق في الرزق مع عدم الصلاح سبب للخذلان في الدنيا والآخرة.

وفي المكتبات كتب تتحدث عن أسباب سعة الرزق ومفاتيحه، وعن أسباب ضيق الرزق وقصصه، جمعت من هذه الكتب ومن أفواه الرجال بعض أسباب سعة الرزق وضيقه لتكون مادة هذا الفصل، فقد كان النبي ﷺ يدعو فيقول: «**اللهم ارزقنا من فضلك، ولا تحرمنا رزقك، وبارك لنا فيما رزقتنا، واجعل غنانا في أنفسنا، واجعل رغبتنا فيما عندك**»[1].

١- حسن الخلق

إن حُسن الخلق من أعظم أبواب سعة الرزق، فالموظف الحسن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/٢٠٦/ ٣٠٠١٠)، وأبو نعيم في الحلية، ٥/ ٦٦، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الخلق يطرق أبواب سعة الرزق، والعاملُ الحَسن الخلق يطرق أبواب سعة الرزق، والتاجر الحَسن الخلق يطرق أبواب سعة الرزق، والدليل على ذلك حديث سيدنا محمد ﷺ حيث يقول: «**حُسْنُ الخُلُقِ نماء، وسوء الخلق شؤم، والبر زيادة في العمر، والصدقة تمنع ميتة السوء**»(١).

وقال ﷺ في حديث آخر: «**الأمانة تَجرُّ الرزق، والخيانة تجر الفقر**»(٢)، والأمانة واحدة من الأخلاق الحسنة.

وقال ﷺ: «**إن صلة الرحم وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار**»(٣).

وفي مسند عبد بن حميد قال رسول الله ﷺ: «**من أعطي حَظَّه من الرفق أعطي حَظَّه من الرزق، ومن مُنِعَ حَظَّه من الرفق مُنِعَ حَظَّهُ من الرزق**»(٤).

وفي صحيح مسلم قال النبي ﷺ: «**من يُحْرَم الرِّفْقَ يحرم الخير**»(٥).

---

(١) أخرجه أبو داوود (٥١٦٢)، وأحمد (٢٥/ ٤٨٧/ ١٦٠٧٩)، من حديث رَافِعِ بْنِ مَكِيث رضي الله عنه.

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٧٢/ ٦٤)، من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٤٢/ ١٥٣/ ٢٥٢٥٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٢/ ٣٧٩/ ١٥٢١)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة (٧٤)، وأبو داوود (٤٨٠٩)، من حديث جرير رضي الله عنه.

وعند الديلمي، قال النبي ﷺ: «**حُسْنُ الخُلُقِ وَكَفُّ الأذى يزيدان في الرزق**»(١).

قال النبي ﷺ: «**إذا أراد الله بقوم نماءً رزقهم السماحة والعفاف، وإذا أراد الله بقوم اقتطاعاً فتح عليهم باب خيانة**»(٢)، ومعنى اقتطاعًا: أي ذهاب الرزق، وذهاب بركة العمر.

ودعا النبي ﷺ يوماً للبائع السّمح، المتساهل في البيع والشراء، فقال: «**رحمَ الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**»(٣).

وما السماحة إلا تساهلٌ وتسامحٌ وتيسيرٌ في البيع والشراء، وهي من حُسنِ الخُلُق.

وكان سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من أثرياء الصحابة، فسُئل يوماً عن سبب ثرائه فقال: «**ما رددتُ ربحاً قَطّ**»، وقال سيدنا علي رضي الله عنه: «**لا ترُدّوا قليل الربح فتُحْرَموا كثيره**».

هذه مجموعة نصوص تتحدث عن فضل الخلق الحسن، وعن كونه سبباً من أسباب سعة الرزق، وعالم الاقتصاد اليوم بدأ يقنن الأخلاق، ويجعلها معياراً من معايير الجودة في المؤسسات الاقتصادية والأسواق التجارية، وبتنا نسمع من دارسي علوم الإدارة أو نقرأ في أبحاثهم قولهم: (فيما مضى كان التقييم للشركات يعتمد

---

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، ١/ ١٨٨.

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٤/ ١٩)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وأورده السيوطي في الفتح الكبير (١/ ٧١/ ٦٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٧٦)، وابن ماجه (٢١٩٤)، من حديث جابر رضي الله عنه.

على أدائها المالي، أما الآن فقد تحول التقييم إلى بُعدَين: أخلاقيٍّ وماليٍّ)، لذلك أصبحت الشركات اليوم تقوم على الأخلاق مع الأساس المالي، وبدأ القوم يضعون معايير لقياس الأداء الأخلاقي، ويجعلونها على مستويات: (مستوى مقبول، ومستوى جيد، ومستوى ممتاز)، وكل شركة تريد أن تحصل على ترخيص تخضع لهذه المعايير، بل إنَّ الدراسات الميدانية بينت أن التزام الأخلاق يؤدي إلى زيادة الربح، وكل هذا دليل على صدق حديث نبينا محمد ﷺ في أن حسن الخلق يوسع الأرزاق.

وفي دراسة قام بها باحث أمريكي بالموازنة بين شركات تلتزم بالأخلاق الحسنة والمسؤولية الاجتماعية، وبين شركات لا تهتم بذلك، تبين أن متوسط النمو في الربحية في الشركات الأولى حوالى ١١٪ سنويًا، وهو في الثانية ٦٪ سنويًا، وخلص البحثُ إلى أن الأخلاق الحسنة تؤدي إلى أعمال تجارية جيدة.

كان شاباً في العشرين من عمره عندما عمل في واحد من المعامل الغذائية في البلد، يحمل الشهادة الإعدادية، ولم يتمكن من متابعة دراسته لحاجة أسرته إلى مساعدته بالعمل، بدأ كعامل عادي في قسم التعبئة بدوام طويل وأجرٍ بسيطٍ، ومع أنه لا يحمل شهادة عالية لكنه كان حَسَنَ الخُلُق مع الجميع، إيجابياً مع أصدقائه العمال، مؤدباً مع من هو أسنُّ منه، عطوفاً على من هو أصغر منه، عفيفاً، جاداً في تعامله مع العاملات، ملتزماً في ساعات عمله، مثابراً على عمله، صادقاً في كلامه...

نما خبره إلى المدير التنفيذي، فاقترح أن يجعله مسؤولاً عن مجموعة من العمال، ثم رُفِّع إلى مدير صالة، ثم احتاجوا إليه في قسم الموارد البشرية، ثم أُرسِل على حساب المعمل ليخضع لدورات في الموارد داخل القطر وخارجه، ثم صار مديراً لقسم الموارد البشرية، ومع كل هذا فهو لا يحمل إلا الشهادة الإعدادية غير أن مستوى أخلاقه كان عالياً جدّاً، وطوَّر نفسه بالدورات، وفي كل هذه التنقلات والترفيعات كان أجره الشهري في ازدياد حتى تضاعف أجره الشهري خمس مرات عن الأجر الذي كان يتقاضاه في بداية العمل.

إنَّ حُسنَ الخُلُق سبب من أسباب سعة الرزق، ومَغْنَمٌ عظيم في الدنيا والآخرة، قال رسول الله ﷺ: «**ذَهَبَ حَسَنُ الخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَة**»(١).

٢-بذل الإحسان للآخرين

إن الإحسان إلى الآخرين باب لتوسعة الأرزاق؛ ذلك لأن الوصف الذي تُعامِل به الخَلْق يعامِلك به الحق سبحانه، إن عاملتَ الخَلْق بالإحسان أحسَن الله إليك، وإن عاملتَ الخَلْق بالإساءة عاملك الله تعالى بما تستحق.

فإذا قيل: من أحق الناس بالإحسان إليهم؟

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٢٢٢/ ٤١١)، وعبد بن حميد في مسنده (٢/ ٢٣٩/ ١٢١٠)، من حديث أنس رضي الله عنه.

فالجواب: أول من يستحق الإحسان والداك؛ لأن الله سبحانه وتعالى أوجب الإحسان إليهما بعد أن أمر بعبادته وتوحيده، فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٢٣].

فبِرُّ الآباء والأمهات باب عريضٌ في سعة الرزق، وإنك لن ترى موفقاً في أرزاقه إلا وهو بار، ولن ترى مخذولاً إلا وهو عاق.

ويكون الإحسان بعد الوالدين لعيالك ولزوجتك، وذلك من خلال التوسعة عليهم، أما إذا ضَيَّقتَ على أهل بيتك وعاملتهم بالإساءة فإن الله سيضيق ويشدد عليك، ثم أحسن إلى أرحامك بعد ذلك بصلتهم بالهدايا والزيارات والمعونات، ثم الضعفاء والمساكين من المسلمين، ثم إلى سائر الخلق أجمعين، وعلى هذا الكلام دلائل كثيرة من القرآن والسنة والواقع:

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ في عُمُره، ويوسَّعَ له في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء، ويستجاب دعاؤه، فليتق الله، وَلْيَصِلْ رحمه**»(١).

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن سَرَّهُ أن يُبْسَطَ له في رزقه، وأن يُنْسَأَ له في أثره، فليصل رحمه**»(٢)، وفي

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٢٣٣/ ٣٠١٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢١٩/ ٧٩٤٩)، من حديث عليٍّ رضي الله عنه، وأصله في الصحيحين.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٠)، عن أنس رضي الله عنه.

رواية «**فليَبَرَّ والديه وليصل رحمه**»(١).

وعليه: فإنك إذا ما أغضبتَ أمَّك وأباك فإنك تغلقُ دونك باباً من أبواب التوفيق، وإذا أسأتَ إلى أرحامك أغلقت دونك باباً من أبواب الرزق.

إذا قلَّلت على أولادك سيقلِّل الله عليك، وإذا قلَّلت على زوجتك وأنت تملك سيقلِّل الله عليك، ففي الصحيح قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، لا تحصي** - أي لا تضيّقي في الإنفاق - **فيحصي الله عليك**»(٢).

ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: «**عبدي، أَنفِقْ أُنفِق عليك**»(٣).

أما دليل سعة الرزق بالإحسان إلى الضعفاء والمساكين فحديث: «**ابغوني الضعفاء، فإنما تُنصَرون وتُرزَقون بضعفائكم**»(٤).

فمهما استطعت أن تُحسِن إلى الخَلْق فافعل، وابدأ إحسانك إلى الأقرب فالأقرب، فإن إحسانك للخَلْق استجلابٌ للرزق.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١/ ٩٣/ ١٣٤٠١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٨٥/ ٧٨٥٥)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي في الصغرى (٢٥٤٩)، وأحمد (٤٠/ ٤٧٩/ ٢٤٤١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وأصله في الصحيحين.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم في كتاب الزكاة (٣٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داوود (٢٥٩٤)، والترمذي (١٧٠٢)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح.

قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يُصبِحُ العباد فيه إلا مَلَكان ينزلان يقول أحدهما: اللهم أعطِ مُنْفِقاً خَلَفًا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكاً تلفًا**»(١).

٣- الاستغفار والتوبة

قال سفيان الثوري: دخلت على جعفر الصادق وهو في مسجده، فقال: ما جاء بك يا سفيان؟ قلت: أطلب العلم، قال: «**إن كان لله عليك نعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكْثِر من الحمد والشكر عليها؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾** [إبراهيم: ١٤/ ٧].

وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ٧١/ ١٠-١٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كُلِّ ضيقٍ مخرجًا، ومن كُلِّ همٍّ فرجًا، وَرَزَقَه من حيث لا يحتسب**»(٢).

يا سفيان، إذا حَزَبَكَ أمرٌ من سلطانٍ أو غيره فأكثر من قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، فإنها مفتاح الفَرَج، وكنزٌ من كنوز الجنة».

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم في كتاب الزكاة (٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داوود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩)، من حديث ابن عباس .

قال ابن العربي: «**مفتاح الرزق: السعيُ مع الاستغفار، ومفتاح المزيد: الشكر**».

وعن الشعبي قال: أصاب الناس قحطٌ في عهد عمر رضي الله عنه فصعد عمر المنبر، فاستسقى فلم يَزِدْ على الاستغفار، فقالوا له: ما سمعناك يا أمير المؤمنين تستسقي، قال: «**طلبت الغيث بمفاتيح السماء التي بها يُستَنْزَل المطر**»، ثم قرأ الآية: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح: ٧١/ ١٠-١١]، والآية ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ١١/ ٥٢].

٤- شكر نعمة الرزق

الرزق من الله، والله سبحانه وتعالى يحب أن يُشكَر، والشكر بابٌ للمزيد، والكفر باب للزوال وللبوار؛ لأن النعم التي لا تشكر هي الحتف القاضي، وإذا أعطاك الله رزقاً أحبَّ منكَ أن تشكره، ووعَدَكَ المزيد: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٤/ ٧].

قال المفسرون: معنى ﴿تَأَذَّنَ﴾: آذن إيذاناً بليغًا، وأعلم إعلاماً لا يبقى معه شبهة، أنَّه: إن شكرتم سيزيدكم من فضله وعطائه وجوده وكرمه، قال رسول الله ﷺ: «**مَن أُعطِيَ الشُّكر أُعطِيَ الزِّيادةَ**»[1].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ١١٧/ ٧٠٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٢٦/ ٤٥٢٩)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وفي (شعب الإيمان) للبيهقي: «**ما أعطي أحدٌ أربعةً فمُنِعَ أربعة:**

ما أُعطِيَ أحدٌ الشكر فمُنِعَ الزيادة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٤/ ٧].

وما أُعطي أحدٌ الدعاء فمُنِعَ الإجابة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ﴾ [غافر: ٤٠/ ٦٠].

وما أُعطي أحدٌ الاستغفار ثم مُنِعَ المغفرة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ٧١/ ١٠].

وما أوتي أحدٌ التوبة فمُنعَ التقبُّل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٤٢/ ٢٥]».

فلئن أُعطيتَ الشكرَ فقد أُعطيت باب الزيادة، ومعلوم أن الشكر يكون بثلاثةٍ (بالقلب وباللسان وبالجوارح).

* **أما شكر القلب:** فأن تعتقد اعتقاداً جازماً أن هذه النعمة التي تساق إليك في رزقك إنما هي من الله تعالى، فكم من رجلٍ هو أذكى منك لا ينال من الرزق ما تنال، وكم من رجلٍ هو أقوى منك لا ينال من الرزق ما تنال، وكم من رجل هو أمضى منك لا ينال من الرزق ما تنال...

* **وأما شكر اللسان:** فأن تُكثِر من الحمد والثناء على الله تعالى وتمدحه بما هو أهله.

* **وأما شكر الجوارح:** فأن تستخدم نِعَمَ الله في الطاعات لا في

المعاصي. قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ٣٤/ ١٣].

قال الشاعر:

الشُّكرُ قَيدٌ للنِّعَم مُستوجِبٌ دَفعَ النِّقَمْ
وهو على ثلاثةٍ قلبٌ يدٌ فاعلم وفَمْ

فإذا أردتَ أن توثِّق نعمةً حتى لا تزول فقيِّدْها بالشكر.

وسأعرض في هذا الفصل لمظاهر ستة من مظاهر شكر نعمة الرزق، فربما غابت عن بعضنا، حتى نلتفت إليها فنكون من الشاكرين لنعم الرزق، ثم نكون من مستحقي سعة الرزق.

من مظاهر شكر نعمة الرزق

أولاً: حفظ نعمة العمل

العمل نعمة، وإذا حافظتَ على نعمة العمل فقد شكرت نعمة الرزق، وأنت بهذا تستوجب المزيد، أما التفريط بالعمل فكفرٌ لنعمة الرزق، وإساءة أدبٍ مع حضرة الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: **«إذا فتحَ الله لأحدكم رزقاً من بابٍ فليلزمه»**(١).

وفي رواية أحمد وابن ماجه: **«إذا سبَّبَ الله تعالى لأحدكم رزقاً من وجهٍ فلا يَدَعْه حتى يتغيّر له»**(٢).

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٨٩/ ١٢٤٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢١٤٨)، وأحمد (٤٣/ ٢٠٠/ ٢٦٠٩٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

ومن علامات شكر نعمة الرزق أن يُحافظ المرء على عمله، انضباطاً بساعات الدوام، والتزاماً بالقوانين الناظمة، وإتقاناً للصنعة التي بين يديه، واحتراماً لمديريه في العمل، فهو بهذا يحفظ نعمة العمل، ويشكر نعمة الرزق، ويستلزم شكره المزيد، وكلُّ شابٍّ مفرِّطٍ بعمله تأخراً عن ساعات الدوام، وتفلتاً من القوانين الناظمة، وتضييعاً للصنعة التي بين يديه، واستخفافاً بمديريه في العمل... فهذا الشاب يُتلفُ نعمةَ العمل، ويكفُر بنعمة الرزق، ويستلزمُ مِنْ كُفْرِهِ بالنعمة ضَيَاعَهَا.

ثانياً: المحافظة على قليل النعمة وكثيرها

قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، أحسني مجاورة نِعَم الله، فقلَّما نَفَرَتْ عن قومٍ فكادت ترجع إليهم**»[1].

وقال سيدنا علي رضي الله عنه: «**احذروا نفار النعم، فما كُلُّ شاردٍ بمردود**».

وقد قالوا: «**من شَكَرَ نعمةً حفِظها، ومن ضيَّعها خاطَرَ بزوالها**».

يلقي بعض الناس ببقايا طعامهم في سلَّات القمامة...!

وترمي بعض النساء ثياباً -تصلح للاستخدام- في الشارع...!

ويتلف بعض الطلاب كتباً تصلح أن يستخدمها غيره، ودفاتر فيها أوراقٌ بيضاء تصلح للكتابة...!

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٣٥٣)، والطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٣٨/ ٧٨٨٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

يترك أحدهم غرفاً لا يحتاج إليها مُنَارة، ويدع ثانٍ المياه متدفقة، وتترك زوجة الطعام خارج الحافظة حتى يتلف...!

مَنْ فَعَلَ ذلك فقد خاطر بزوال نعمة الرزق عنه.

ثالثاً: عدم السرف في الإنفاق

السرف في الإنفاق لا يُعَدُّ شكراً للنعمة، لأن الله تعالى لا يحب المسرفين، قال سبحانه: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ٦/١٤١]، والاقتصاد نصف المعيشة، والإسراف محرقةٌ للنعمة.

- مع أن أجره الشهري خمسة عشر ألف ليرة سورية فهو يدفع لشركات الاتصال في كل شهر ما يقارب خمسة آلاف ليرة!! هذا من السرف...

- مع أن أجره الشهري لا يتعدى الآلاف العشرة غير أنه لا يرضى أن يشتري ثياباً إلا من الشركات الغربية!! هذا من السرف...

- مع أنه ليس من سكان أحياء الأثرياء، غير أنه لا يرضى أن يحلق شعره إلا في تلك الأحياء، ويدفع أجور الحلاقة مضاعفة!! هذا من السرف...

- مع أن زوجها موظفٌ متوسط الدَّخل غير أنها تريده أن يأخذهم إلى مطعمٍ لتناول طعام الغداء أو العشاء أسبوعيًا، وأن يصطحبها في رحلةٍ إلى الشاطئ كل عامٍ!! هذا من السرف...

إن عدم السرف في الإنفاق شكر لنعمة الرزق، كما أن السرف في الإنفاق كفر بهذه النعمة، والشكر يستلزم المزيد،أما الكفر فيعرِّضُ النعمة للزوال، يقول سبحانه في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٦٧].

رابعاً: اشكر من كان سبباً في إيصال نعمة الرزق إليك

قال رسول الله ﷺ: «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**»(١).

قال المناوي في تفسير هذا الحديث: «**أي من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم، كان عادته كفران نعمة الله تعالى وترك الشكر له**».

فالرجل الذي يشكر الناس سيشكر الله، أما الذي يكفر النعمة التي جعلها الله تعالى على يد هؤلاء الناس، فإنه سيكفر النعمة بين يدي الله، أو أن المراد كما قال المناوي: «**إن الله لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس أو ينكر معروفهم؛ لاتصال أحد الأمرين بالآخر**».

فإن كنت أجيراً فاشكر صاحب العمل الذي جعله الله تعالى سبباً في سَوق الرزق إليك، وإن كنت صاحب عمل فاشكر أجراءك الذين أجرى الله تعالى أرزاقك على أيديهم، إذ لولا هؤلاء الأجراء

(١) أخرجه الترمذي (١٩٥٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: حديث حسن، وأحمد (١٧/ ٣٨٠/ ١١٢٨٠).

ولولا عملهم الدؤوب عندك، في مكتبك، في متجرك، في شركتك، في مؤسستك، لضاق بك أمر الرزق، لذلك لا تبخسهم حقوقهم، قال رسول الله ﷺ: «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يَجفَّ عَرَقُه**»(١).

فكل أجيرٍ لا يحترم صاحب العمل يُعرِّض نعمة الرزق للزوال، وكل صاحب عمل يؤخر عن عماله أجورهم بغير عذرٍ يعرِّضُ نعمة الرزق للزوال، وكل أجير لا يحافظ على ما ائتمنه عليه صاحب العمل يعرض نعمة الرزق للزوال، وكل صاحب عملٍ يأكل حقوق عماله أو بعض حقوقهم يعرض نعمة الرزق للزوال.

خامساً: استخدام نعمة الرزق في الطاعات لا في المعاصي

سئل بعض الصلحاء عن الشكر، فقال: «ألَّا تتقوَّى بنِعَمِه على معاصيه».

أُنشد الهادي وهو يأكل:

أَنَـالَـكَ رِزْقَـهُ لِـتَـقُـومَ فِـيهِ بِطَاعَتِهِ وَتَشْكُرَ بَعْضَ حَقِّهْ

فَلَمْ تَشْكُرْ لِنِعْمَتِهِ وَلَكِنْ قَـوِيْـتَ عَـلَى مَـعَـاصِيهِ بِـرِزْقِـهْ

قال: فغص باللقمة، ثم خنقته العَبْرَة، وبكى.

ومما اشتهر من كلام السلف: أن المعاصي تزيل النعم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله عنه (٢٤٤٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٣٤/ ٦٦٨٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارعَهَا فَإِنَّ المَعَاصِي تُزِيْلُ النِّعَمْ

وإن من الطاعات التي تقابِلُ بها الله تعالى شكراً على نعمة الرزق قضاءُ حاجات العباد، قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبدٍ أَنْعَمَ الله عليه نعمة فأسبغها عليه إلا جعل إليه شيئاً من حوائج الناس، فإن تبرَّم بهم فقد عرَّض تلك النعمةَ للزوال**»(١).

سادساً: إظهار فضل الله والتحدث بنعمته سبحانه

لا تكثر من الشكوى والأنين وأنت في نعمةٍ وسعة من أمرك، فذلك كفر بالنعم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ٩٣/ ١١].

وقال النبي ﷺ: «**التحدث بنعمة الله شكرٌ**»(٢)، قال المناوي في (فيض القدير) شارحاً هذا الحديث: «**قال بعض العارفين: ذكر النعم يورث الحب في الله، ثُمَّ هذا الخبر موضعه ما لم يترتب على التحدث بها ضررٌ كحسدٍ، وإلا فالكتمان أولى**».

قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله يحبّ أنْ يرى أثرَ نعمته على عبده**»(٣)،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما (٧/ ٢٩٢/ ٧٥٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٦/ ١١٧/ ٧٦٦٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد.

(٢) حديث حسن: أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٣٩٠/ ١٨٤٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥١٦/ ٩١١٩)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣١٥/ ٤٢٥١)، من حديث عَمْرِو بْنِ شُعَيْب عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، وقال الترمذي: حديث حسن.

فمن أظهر فضل الله عليه شَكَرَ نعمة الرزق واستوجب المزيد، ومن كتمها خاطر بها وعرضها للزوال.

٥-إتقان العمل

إذا أردت أن يهبك الله رزقاً واسعاً فأتقن عملك في أي مكان كنت، وفي أي عمل عملته، واجعل الإتقانَ رفيقك، والإحسانَ قرينك، ثم اعلم أن الإتقان والإحسان والتجويد والإحكام مفردات نبوية تستوعب العبادات والمعاملات. قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كتبَ الإحسانَ في كل شيء**»(١).

فإتْقَانُ العمل وإحسانه وتجويده وإحكامه مادةٌ إسلامية يتقرب بها المرء المسلم إلى الله تعالى، ويقرع بها أسباب سعة الرزق، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»(٢).

ويرادف هذه المفردات الأربعة: (الإحسان، والتجويد، والإتقان، والإحكام) مصطلحٌ جديدٌ اسمه (الجودة)، أي: الجودة النوعية والجودة الشاملة. وواحد من تعاريف الجودة: (خلو المنتج من العيوب دون أي فارق في المواد والطاقة والوقت)، ويعتمد العلماء على الجودة في مادتهم العلمية والعملية، مثلًا:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيد (٥٧)، والترمذي (١٤٠٩)، من حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْس رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/ ٣٤٩/ ٤٣٨٦)، والطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٢٧٥/ ٨٩٧)، من حديث أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

* **في حفظ القرآن الكريم**: لو أنك حفظت القرآن الكريم في بيتك حفظاً كاملًا، لا تُعتَبَر عند حُفَّاظ القرآن الكريم حافظاً حتى تجلس بين يدي شيخ مجاز متقن، فتقرأ عليه القرآن من الفاتحة إلى الناس، ويُصحِّح لك أخطاءك، ويطمئن لإتقانك اللفظَ، وبعد هذا يعطيك إجازة بحفظ القرآن الكريم.

* **في الحديث الشريف**: الإمام البخاري له كتاب اسمه (الجامع الصحيح) وهو مشهور بصحيح البخاري، هذا الكتاب ألَّفَه صاحبه خلال ست عشرة سنة، لكن هذا الكتاب لأنه متقن، والجودة النوعية فيه شاملة وكبيرة، ولأنه مُحسَّنٌ ومجوَّدٌ مضى عليه ألف ومئتا سنة وهو باق في الوجود، وما زلنا نقرأ فيه إلى يومنا هذا.

سُئل عبد الرحمن بن مهدي - أحد رجال الحديث -: ما الحِفْظُ؟ قال: **(الحفظ الإتقان)**.

قيل عن ابن عبد البر - الإمام المحدث الفقيه المجتهد -: مكث ثلاثين سنة في تأليف كتابه (التمهيد)، وما زال من مئات السنين معتبراً ومعتمداً عند العلماء؛ لأنّ صاحبه أتقنه.

بل إن علماء الحديث عابوا على من لم يتقن وقللوا من شأنه.

جاء في حديث طلق بن علي رضي الله عنه كما عند الإمام أحمد والطبراني قال: جئت إلى النبي ﷺ وأصحابُه يبنون المسجد فكأنه لم يعجبه عملهم، فلما رأيت عملهم أخذت المِسْحَاة[1]، وخلطتُ

(١) المسحاة: مجرفة يسحق بها التراب والطين.

بها الطين فكأنه أعجبه أخذي المسحاة وعملي، فقال ﷺ: «**دَعُوا الْحَنَفِيَّ وَالطِّينَ، فَإِنَّهُ أَضْبَطُكُمْ لِلطِّينِ**»(١)، وفي رواية: «**قربوا الْيَمَامِيَّ مِنَ الطِّينِ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُكُمْ لَهُ مَسّاً، وَأَشَدُّكُمْ مَنْكِبًا**»(٢). وفي رواية: قلت: يا رسول الله، أنقل كما ينقلون؟ قال: «**لا، ولكن اخلُط لهم الطينَ، فأنت أعلم به**»(٣).

فالعامل المتقن يقرع أبواب سعة الرزق، وإتقان العمل يرفع من شأن العمل وصاحبه، وينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، وإنك بإتقانك لعملك في أي مكان تستمطر أرزاقَ الله العميمة.

أرأيت إلى اليابان: بلدٌ ذو مساحة محدودة، فقيرة في الثروات الباطنية، عديمة الثروة الحيوانية، صغيرة الأراضي الصالحة للزراعة، كثيرة الزلازل، طحنتها الحرب العالمية الثانية، لكنها استطاعت بعمل جادّ وفعّال مخلص أن تنهض، ثم تسير - بل تقفز - حتى تصدَّرت دول العالم في الإنتاج التقني والصناعي.

إن من أهم المبادئ التي اعتمدتها اليابان: مبدأ إتقان العمل، فإذا أردت أن تعمل فاعمل بإتقان.

يقول المتخصصون اليابانيون: «**إن الإتقان أو الجودة مصدره**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٣٣٥/ ٨٢٥٤)، وأحمد (٣١/ ٢٤٠٠٩)، من حديث قيس بن طلق عن أبيه رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١١٢٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٣٢/ ٨٢٤٢).

(٣) أخرجه الدارقطني في سننه (١/ ١٤٨/ ١٤).

التدقيق والتركيز على الأعمال الدقيقة»، أي: لا يمكن أن يُتَسَاهل في الإنتاج، فثَمَّةَ نظام في إدارة الجودة باليابان يسمى نظام (Q.C.D)، وهي الأحرف الثلاثة الأولى من كلمات مهمة في الجودة هي: (النوعية، التكلفة، التسليم)؛ معناها: إذا بعت أو أنتجت أية سلعة فراعِ هذه الثلاثة: (النوعية والتكلفة والتسليم)، تَنَلْ في هذه المراعاة الجودة والإتقان والربح، أو بمعنى آخر: ابحث عن النوعية الأفضل، والسعر المناسب، والتكلفة المناسبة، والتسليم في الوقت المحدد، فإذا سلَّمتَ في غير الوقت المحدد أو طلبت سعراً غير مناسب، أو جئت بقطع نوعيتها سيئة فقد خالفت الجودة والإتقان.

وهم يقولون للعامل عندهم في خط الإنتاج عبارةً مؤلَّفةً من ثلاث كلمات: **(لا تستلمها، لا تُنفِّذها، لا تمررها)**، ومرادها: لا تستلم أي قطعة تالفة، ولا تنفذ أي تالف، ولا تمرر أي تالف، فبالإتقان والجودة وصَلَت اليابان إلى ما وَصَلَت إليه، حتى تعجَّبَ الناس من إتقان اليابانيين لأعمالهم.

كانت إحدى الشركات الأمريكية تطلب أجهزة معينة تحتاجها في عملها من شركة أمريكية أخرى، كانت تستلم الطلب في وقته المحدد، لكنها تجد نسبة خلل في الأجهزة المنتَجة يساوي ٤٪، ومع تكرار الأمر ومحاولة الإصلاح وعدم التجاوب قرَّرَتْ الشركة المشترية ترك التعامل مع هذه الشركة الأمريكية والاستعاضة عنها بشركة يابانية.

اتفقوا مع الشركة اليابانية، ووقعوا العقد على نسبة خلل تساوي ٢٪ فقط، ولما جاء وقت تسليم الأجهزة أرسلت الشركة اليابانية مجموعة كبيرة من الأجهزة وإلى جانبها مجموعة صغيرة، وعندما وَصَلَتْ سألوا المسؤول الياباني: ما هذه المجموعة وما تلك؟ قال: «**المجموعة الكبيرة هي الأجهزة التي طلبتم إلينا صناعتها، والمجموعة الصغيرة هي الأجهزة التي فيها خلل نسبة ٢٪ أحضرناها لكم؛ لأننا لا ننتج أصلاً أجهزة فيها خلل، لكن أنتم طلبتم ذلك فصنعنا لكم هذه الأجهزة، وعندنا لا تباع هذه الأجهزة فأجهزتنا مضبوطة مئة بالمئة**».

إن إتقان العمل ينفعك ويرفعك في الدنيا والآخرة، وبه تستمطر سعة الرزق، ولا تفرح بالمال الذي يأتيك سريعًا، ولكن افرح بالمال الذي يأتيك دائمًا، ربما لا تتقن عملك اليوم وتربح مالاً كثيرًا، لكنك ستربح هذه المرة فقط، أما إذا أتقنت عملك فإنك ستربح دائمًا، بل يتعدى نفعه إلى الأولاد والأحفاد.

خمسة أسباب لعدم الإتقان

١- الجهل، وقلة الخبرة.

٢- الكسل والإهمال.

٣- البحث عن المكاسب السريعة.

بعضهم يريد أن يأخذ المال ويمضي ليستلم عملاً آخر بسرعة قبل أن يفوته، ويريد أن يأخذ المال من العمل الثاني ولا يهمه

ما سينجز، ولكن يهمه أن يأخذ المال، هذا وإن ربح اليوم فإن سمعته السوداء ستجعله خاسراً فيما بعد.

وبحثاً عن المكاسب السريعة ترى طبيباً لا يعطي المريض حقه في غرفة الفحص والمعاينة، ولعله لا يستغرق في فحصه الدقائق الخمس، ويتعلل بأن المرضى ينتظرون في غرفة الانتظار، والحقيقة أنه يريد مالهم ولا يريد علاجهم، هذا الطبيب وإن ربح اليوم لكن سمعته السيئة ستمنيه بالخسائر غدًا.

٤- عدم الاهتمام بالمصلحة العامة:

الإسلام دين الجماعة، انظر كيف يجتمع المسلمون في يوم الجمعة! هل تعلم أنه لا تصح صلاة الجمعة إذا كان الواحد منفردًا؟ حتى لو سمع الخطبة في بيته، وصلى بصلاة الإمام، فصلاته باطلة؛ لأنه لم يكن مع الجماعة.

ومثل ذلك الصيام، نصوم معاً ونفطر معاً وكذا الحج، نقف في عرفة، وكذا الزكاة تكاتفٌ اجتماعيٌّ يُحمَل فيه الضعيف على القوي...

أما ثقافة: (أنا وليكن بعدي الطوفان) فهي ثقافة بعيدة عن الإسلام، وعدم الاهتمام بمصلحة الجماعة واحدٌ من أسباب عدم إتقان العمل.

٥- نسيان العبد مراقبة الله تعالى له في عمله:

تراه يحسب حساب العمال، وحساب المشترين، وحساب الباعة... لكنه ينسى أن الله عز وجل يراقبه فيما يعمل.

قال المناوي في كتابه (فيض القدير):

«ذُكِر أن صانعاً عمل عملاً تجاوز فيه، ودفعه لصاحبه، فلم ينم ليلته كراهة أن يُظهر من عمله عملاً غير متقن، فشرع في عملٍ بَدَله حتى أتقن ما تعطيه الصنعة، ثم غدا به لصاحبه، فأخذ الأول وأعطاه الثاني، فشكره، فقال: لم أعمل لأجلك بل قضاءً لحق الصنعة ومراقبة الله تعالى».

عوامل تساعدك على إتقان العمل

١- **التدرب المستمر**: لا بأس إذا كنت طبيباً أن تخضع لدورة جديدة، وإذا كنت مهندساً أن تحضر مؤتمراً علمياً جديدًا، وإذا كنت حداداً فلتقرأ كتاباً في الحدادة جديدًا، وإذا كنت حرفياً فاقرأ كتاباً جديداً في حرفتك، فالتعلم والتدرب المستمران يعينانك على الإتقان.

٢- **الصبر والتأني**: المستعجل غالباً ما يخطئ.

٣- **التخصص**: أراد رجلٌ أن يصلح في بيته مجموعة إصلاحات، كلاً منها باختصاص معين، قيل له: إن فلاناً يمكنه أن يساعدك، لما جاء به وقال أنا عندي هذه المشكلة في كذا، وهذه المشكلة في كذا.. قال له: أنا أصلِّح لك كلَّ ما ذكرت، فرح الرجل ورأى في ذلك توفيراً في الجهد والوقت والمال، فأصلح له كل هذه الأمور وأخذ المال، لكنه لما فرغ تفاجأ صاحب الدار أن الرجل لم يحسن إصلاح أي شيء من هذه الأمور!!!

التخصص أنفع في الإتقان.

٤- التنظيم الدقيق والتخطيط السليم.

٥- الإفادة من تجارب الآخرين.

٦- مراقبة الله تعالى: راقب ربك وأنت تعمل كما تراقبه وأنت تصلي، لأنك تتعبده في كلا الحالين.

ختامًا، يقول تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ [التوبة: ٩/ ١٠٥].

إذا حكمت في قضية فسيراها الله وستعرض عليه يوم القيامة، وإذا هندست مشروعاً فسيراه الله، وإذا عالجت مريضاً فسيراه الله، وإذا عَلَّمْتَ طالباً فهذا التعليم سيعلَمُه الله، قال: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ [التوبة: ٩/ ١٠٥].

ففكر في العمل الذي ستقدمه لحضرة الله تعالى:

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة: ٩/ ١٠٥].

٦- تقوى الله

وهذه بعض القصص المبيِّنة لأهمية التقوى في سعة الأرزاق:

- القصة الأولى:

بعد دوامه الأول في القطاع العام كان يعمل موظفَ استقبال في واحد من فنادق بلدته؛ ليضم راتبه الثاني إلى الأول ليعيل بهما نفسه وزوجه وأولاده الخمسة، لكنه فوجئ في يومٍ بأن إدارة الفندق

أوكلت له عملاً جديداً بدل عمله في الاستقبال، ذلك أنهم قرروا أن يصحب بعض الوفود السياحية ليكون دليلاً في مطاعم البلدة ومقاصفها، وربما يكون في بعض هذه الأماكن ما يحرمه الشرع، اعتذر إليهم فلم يعذروه واستعفاهم فلم يُعفوه، وأصرُّوا على الطلب، وإلا فليتقدم باستقالته لإدارة الفندق.

ومع حاجته وحاجة أهل بيته للعمل لم يكن ليرضِي الناس بِسَخَط الله، فقرَّر ترك العمل - مع صعوبة هذا القرار - ليبحث عن عمل حلال صِرف. استقال، وراح يبحث عن عمل جديد، ولكن عبثاً حاول، لكن الله تعالى أراد أن يعوضه عمَّا ترك من حيث لا يخطر له على بال، ويرزقه من حيث لا يحتسب، فولده الكبير الذي تخرج في كلية الطب منذ سنوات أربع أنهى اليوم اختصاصه في طب الأطفال، واستدان ليبني غرفة في حديقة ببيت أبيه ليجعلها عيادةً خاصة، وما بدأ الابنُ بممارسة عمله حتى أكرمه الله بمراجعين كُثُر، وأجرى شفاء أطفال على يديه، وذاع صيته بين الجوار من الأشهر الأولى للعمل، وصار يكسب ما يعادل ثلاثة أضعاف ما يكسبه أقرانه من الأطباء.

زارني ليخبرني بنعمة الله عليه، وبأنه شاكر لله تعالى على هذا الإكرام، فأخبرته أن سعة رزقه جزء من مكافأة الله تعالى لأبيه؛ لأن الأب ترك الحرام فعوَّضه الله تعالى بالحلال الكثير.

- **القصة الثانية:**

صاحبُ مطبعة معنيّةٍ بطباعة الكتب والورقيات، طلب منه

صاحب أحد المجلات أن يطبع عنده مجلته الشهرية بأعداد كبيرة، وتُشَكِّل طباعتها رافداً شهرياً لأرباح المطبعة، طلب صاحب المطبعة أعداداً قديمة للمجلة ليرى ما فيها، وإذا به يُفاجأ بمجلة تعرض صوراً فاضحةً لا ترضي الله عز وجل، ولا تخدم ديناً ولا ثقافةً ولا أخلاقاً...، ومع كون العرض المادي مغرياً إلا أن خوفه من الله تعالى مَنَعَه من قبول العرض، فاعتذر إلى الرجل صاحب المجلة، وهذا الاعتذار صعبٌ جداً في مثل هذا الموقف الذي سيدرُّ عليه من الأموال - إن وافق - الشيء الكثير.

وبالمناسبة لعلَّ أحدهم تحدِّثه نفسه: إذا أنت لم تطبع هذه المجلة فسيطبعها غيرك، اطبعها أنت وتصدَّق بثمنها، اكفل يتيماً، اكفل عائلة... هذا كلُّه لا يُبرِّرُ فعل الحرام.

اعتذر الرجل، وفوَّت على نفسه مبلغاً مالياً وافرًا، إلا أن الله تعالى أراد أن يكافئه في الدنيا قبل الآخرة، فكان أن اتصلت به إحدى المطبعات في إحدى الدول العربية المجاورة، تجمعه مع صاحبها صداقة قديمة، طلبت إليه مئتي ألف نسخة من القرآن الكريم مقابل أجر مادي جزيل، فكان أن نال أجراً ونال أجرةً.

- القصة الثالثة:

طبيب دمشقي شاب، حصل على الإجازة في الطب، ثم سافر إلى فرنسا لمتابعة تحصيله العلمي، أتم تخصصه في الجراحة العصبية، كان ماهراً بين أقرانه، الأمر الذي دعا الأستاذ المشرف عليه أن يدعوه إلى البقاء في فرنسا للعمل هناك، وتُشفَع الدعوة

بالمنزل المناسب والسيارة الفارهة، وتأمين الأولاد في أرقى المدارس الفرنسية، كل ذلك بالإضافة إلى مرتَّب شهري يحدِّده هذا الطبيب السوري الشاب لنفسه، عجب الأستاذ عندما أخبره الطبيب الشاب أنه يريد أن يستشير أمَّه العجوز في الشام، فإن وافقت وقَّع العقد وإلا فلا.

عاد إلى الشام يحمل معه هذه المفاجأة وهو لا يعتقد أن أمه سوف تمانع، خصوصاً أنه من أسرة متوسطة الحال وأقرب إلى الضعف، وأنه في الشام لا يملك عيادة ولا سيارة، ولا حتى شقة سكنية، كلّ ما يملكه جزءٌ من شقة بسيطة جاءته من إرث قديم. لكن الأم عندما سمعت استئذان ولدها رقرَقَت الدمعة في عينيها، وطلبت إلى ابنها ألّا يعود إلى السفر بعد انتهائه من تحصيله العلمي؛ لأنها تحتاجه أن يكون قريباً منها، وبلده تحتاجه. وبالفعل ومع صعوبة هذا القرار، ومع عدم وضوح المستقبل في بلده، قرر ألّا يعود اتصل بالأستاذ ليبلغه شكره واعتذاره عن التوقيع على العقد؛ ذلك لأن العجوز في البيت لم توافق!!

عاد هذا الطبيب إلى الشام وبدأ بعيادة بسيطة لا تليق باختصاصه العالي أصلًا، لكن المرضى تزاحموا عليه، أجرى عمليات ناجحة في عدد من مشافي البلد، ذاع صيته، وزاد رزقه، وأحبه الناس، وحالفه التوفيق؛ لأن الذي في السماء بارك له في عمله وماله، اشترى داراً جميلة، وسيارة فارهة، وعيادة ملائمة، ورقي في سلم العلم، وصار رئيس قسم الجراحة العصبية في إحدى أهم مشافي دمشق، وما زال إلى الآن يشغل هذا المنصب.

- **القصة الرابعة:**

ورث عن أبيه محلاً لبيع الذهب هو من أشهر محلات بيع الذهب في سوق الصاغة، مع مبلغ مالي كبير يضاف إليه خمسة كيلو غرامات من الذهب، لكن الشاب الذي ورث هذا الإرث كان مسرفاً على نفسه، تاركاً للطاعات، مقبلاً على المحرمات، قاطعاً للرحم، عاقاً بوالدته، شارباً للمسكرات، واقعاً في الموبقات، له أصحاب سوء يدعونه لسوئهم...، وخلال سنوات معدودات بدَّد الشاب المال كلَّه، وأضاع إرث أبيه، وهو الآن يعمل أجيراً بقوت يومه في أحد المحلات التجارية.

من أسباب سعة الرزق تقوى الله تعالى، على حين أن الفجور ومخالفة التقوى سببٌ لتبديد الأرزاق.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٦٥/ ٢-٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف: ٧/ ٩٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٦٥ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ

أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ [المائدة: ٥/ ٦٥-٦٦].

وفي سنة النبي ﷺ وفرةٌ من الأحاديث التي تَذْكُر أن التقوى جالبة للرزق، وأن ترك التقوى ماحِقٌ للبركة والأرزاق.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الرَّجلَ ليُحرَم الرِّزقَ بالذنب يصيبه**»(١).

وقال النبي ﷺ: «**ما مِنْ قومٍ منَعوا الزَّكاة إلَّا ابتلاهم الله بالسنين**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**إيَّاكم وكثرة الحَلف في البيعِ، فإنّه يُنفِق ثم يَمحَق**»(٣).

وقد عرف العلماء التقوى، فقالوا: «**أن يراك الله حيث أمرك، وأن يفقدك حيث نهاك**».

قيل: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبيّ بن كعب عن التقوى، فقال له: «**أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال: بلى، قال: فما عَمِلْتَ؟ قال: شَمَّرتُ واجتهدت، قال: فذلك التقوى**».

وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٢)، وأحمد (٣٧/ ٦٨/ ٢٢٣٨٦)، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٥/ ١٠٩٩٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة (١٣٢)، والنسائي في الصغرى (٤٤٦٠)، من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

خَلِّ الذُّنوبَ صَغيرَها وَكَبيرَها فَهوَ التُّقى
واصْنَعْ كماشٍ فوقَ أَر ضِ الشَوكِ يَحذرُ ما يَرى
لا تَحْقِرَنَّ صَغيرَةً إِنَّ الجِبالَ مِنَ الحَصى

قالوا في تعريف آخر للتقوى: «**هي فعل المأمورات وترك المَنهيَّات**»، وبناءً على ذلك يدخل في التقوى: صلة الرحم، وبر الوالدين، والاستغفار، والتوبة، والمحافظة على الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة، والأذكار، وقراءة القرآن، وحسن الخلق، والتوسيع على العيال، وطلب العلم، والإحسان إلى الضعفاء والفقراء، والدوام على الطهارة، والدعاء، . . .فكلُّها أسباب تزيد في الأرزاق.

ويدخل في مخالفة التقوى: الاحتكار، والظلم، والغش، والكذب في البيع والشراء، والتجارة في المحرمات، والربا، والزنا، ومنع الزكاة، والنقص في الكيل والميزان، . . .فكلُّها أسباب تمحق الرزق وتمحق البركة.

فلئن تدربتَ على أسباب مادية لزيادة الأرزاق، فلا تنس أن تتقن تقوى الله تعالى؛ لأن التقوى أقوى.

سؤال: إذا كانت التقوى سبباً لسعة الرزق، فما لنا نرى رجالاً فجاراً بل كفاراً وأرزاقهم واسعة؟!

يجيب عن ذلك سيدنا محمد ﷺ إذ يقول: «**إذا رأيتم الله يعطي**

العبدَ على معاصيه بما يحب فإنما هو استدراج» ثم تلا ﷺ هذه الآية:

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٦/ ٤٤-٤٥][1].

ختامًا: المطلوب أمران:

أولًا: **افعل الخيرات مادمت حياً ما استطعت**، فالصلاة خير، والصوم خير، وبرّ الوالدين خير، والإحسان إلى الضعيف خير، وحسن الخلق خير، والكلمة الطيبة خير، والابتسامة في وجه أخيك خير، وقضاء حاجة الملهوف خير... بادر إلى فعل الخيرات، فإنك - بلا ريب- ستفارق الدنيا، وستفضي إلى ما عَمِلْتَ، فالحياة الدنيا دار تقوى وعمل، وأما الآخرة فدار حساب وجزاء، احذر أن تكون ممن أسرف على نفسه، حتى إذا أتاه الموت تمنى العودة إلى الحياة لاستدراك ما فات، وهيهات!!

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٤٥٧/ ١٧٣١١)، والطبراني في الأوسط (٩/ ١١٠/ ٩٢٧٢).

تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ٩٩-١٠٨].

ثانيًا: إن زَلَّتْ قدمُك فأخطأت وقَصّرْتَ ووقعتَ فقُمْ فورًا، واجتنب المعاصي ما قَدرت، وكن تائباً إلى الله، وإياك والقنوط من رحمة الله، قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٣٩/ ٥٣].